علي مجيد البديري - اعتماد الترجمة وسيطا في الدراسات الأدبية المقارنة

- تاريخ الإنشاءMay 14, 2018

تكاد تتفق مدارس الأدب المقارن حول ضرورة إتقان الباحث المقارن للغة ثانيةٍ ـ على الأقل ـ غير لغته القومية، ولعل من أبرز المتشددين في ذلك مقارني المدرسة الفرنسية . وتتجلى مسوغات هذا الاشتراط في أن اعتماد النصوص الترجمة في المقارنة يجعل الباحث بعيداً عن أصل هذه النصوص، ولا يتلقاها بشكل مباشر، بل عبر وسيط له ثقافته الخاصة ، وتلقيه الخاص للنص الأجنبي، ومن ثم فهو ينقل لنا فهمه ، و قراءته ، ويجسد مقدرته في إعادة صناعة النص الأصلي وتشكيله أسلوبياً ودلالياً من جديد؛ ذلك أن الترجمة ليست مجرد نقل كلمات من لغة إلى لغة أخرى، فهي تقوم على "دراسة المفردات القاموسية، والبنية القواعدية، والموقف التواصلي، والسياق الثقافي لنص اللغة المصدر ، وتحليل ذلك لتحديد معناه ، ثم إعادة تركيب ذلك المعنى ذاته باستخدام المفردات القاموسية، والبنية القواعدية الملائمة في اللغة المستقبلة، وسياقها الثقافي"(الترجمة القائمة على المعنى دليل التكافؤ بين اللغات . ملدريد ل. لارسون ، ج١ : ٤٤).

نسخة ثانية

ومن هنا يكون العمل نسخة ثانية عن الأصل وليست الأصل ذاته، وإذا ما اعتمد الباحث المقارن في دراسته على نصوص مترجمة من غير أن يرجع إليها بلغتها، فانه سيكون قد ابتعد عن النص الأصلي مرتين ، وسينعكس ذلك على طبيعة النتائج التي سينتهي إليها البحث . ومن سلبيات عدم امتلاك الباحث المقارن لغة ثانية ، عدم التعرف على المصادر الكافية الخاصة بالنص الأجنبي ، فليست جميعها مترجمة إلى لغة الباحث ، أو متوفرة لديه وهذا يعني أن معرفته بموضوعه ستكون ناقصة.

غير أن بعض المقارنين المتأخرين رأى في شرط إتقان لغة النص الأجنبي في الدراسة المقارنة قيداً يحجِّم نشاط الباحث، ويكرسه في مجال واحد ، ومع أدب مختلف واحد، وسيمنعه من دراسة كثير من الموضوعات وعلاقات التثاقف ما بين آداب مختلفة أخرى، فليس من الممكن أن يجيد المقارن معظم لغات العالم، فعنايةُ متعلمي اللغات الأجنبية ودارسي آدابها محصورةٌ في لغات عالمية محددة كالإنجليزية والفرنسية والإيطالية والروسية و الإسبانية ، لما

تتمتع به البلدان الناطقة بها من حضورٍ عالمي فاعل اقتصادياً وسياسياً ، وتبقى أغلب لغات العالم مهمشة ، ومستبعدة عن هذه العناية ، ولا شك في وقوف عوامل كثيرة سبباً وراء ذلك ، يقع بعضها خارج الأدب ومقاييسه.

نصوص عالمية

فلابدّ للباحث المقارن في هذه الحالة من أن يعتمد الترجمة وسيطاً ناقلاً للأدب الأجنبي، ليتمكن من دراسته ومقارنته
بأدبه القومي أو بأدب اللغة الأجنبية التي يجيدها . وعليه حينذاك أن يتحرى الدقة العلمية في اختيار اللغة الأقرب إلى النص الأصلي ، إذ تتعدد اشتغالات بعض النصوص الإبداعية من قبل عدة مترجمين، مثلما هو الحال مع النصوص العالمية كمسرحيات شكسبير، و شعر شارل بودلير ،و رباعيات الخيام، و شعر الإسباني لوركا،وغيرها من النماذج، ويمكن للمقارن أن يستعين بنتائج الدراسات، التي تعنى بمضاهاة النصوص المترجمة بنسخها الاصلية، وتدرس سلامة الترجمة ودقتها ، ولغة الناقل وأسلوبه ، ثم تقارن ما بين الترجمات المتعددة لنص واحد، لتفضّل في النهاية الترجمة الأكثر توفيقاً واقتراباً من النص الأصلي.
على أن اعتماد هذا الخيار لا يعد حلاً كاملاً لمسألة اختيار النص الجديد الأفضل، ولا يحقق النتيجة المرجوة منه بشكلٍ كامل ، لقلة الدراسات الترجمية وحداثة ميدانها من جانب ، ولقلة المشتغلين الذين يمتلكون التجربة والخبرة في ميدان الترجمة بشكل يؤهلهم للخوض في هذا المجال، من جانب آخر .

د. علي مجيد البديري

عن الصباح *